الفلسفة الكاموية وتمظهراتها

Camusian philosophy and its manifestations

فاطمة الزهراء جبالة[1]، عبد الوهاب شعلان[2]

[1] جامعة مُحَمَّد الشريف مساعدية –سوق أهراس– (الجزائر)، f.djebala@univ-soukahras.dz

[2] جامعة مُحَمَّد الشريف مساعدية –سوق أهراس– (الجزائر)، abdelouaheb.chaalane@univ-soukahras.dz

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

تاريخ الاستلام: 2023/03/10 تاريخ القبول: 2023/09/28 تاريخ النشر: 2023/12/10

ملخص:

يعتبر ألبير كامي من بين الفلاسفة الوجوديين الذين برزوا في الساحة الأدبية والنقدية بشكل كبير، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى أعماله التي عبّرت عن وجوديته المتفردة، فهو قد انحاز بمفاهيم جديدة ميّزته عن معاصريه، وحتى عمّن قبله، خاصة فيما تعلق بفكرة الموت والانتحار، وهذا ما أدى بالكثير من الكتاب والنقاد المعاصرين إلى التأثر به، ومحاكاة بعض أعماله، وهو مرمى دراستنا؛ أي البحث والنبش في ثنايا أعماله واستقراء أسرار فلسفته القائمة على مبدئي العبث والتمرد كخاصية مستحدثة، ورؤية مغايرة للحياة والوجود، ثم مدى حضوره في الذهنية الأدبية والنقدية المعاصرة.

كلمات مفتاحية: ألبير كامي؛ الوجودية؛ العبث؛ التمرد؛ الفلسفة.

Abstract:

Albert Camus is considered among the existentialist philosophers who have emerged in the literary and critical arena in a large way, and this is due, to his works that expressed his unique existentialism, as he sided with new concepts that distinguished him from his contemporaries, and even from those before him, especially with regard to the idea of death and suicide, and this Our study aims to; That is, searching and digging into the folds of his works and extrapolating the secrets of his philosophy based on the principles of absurdity and rebellion as an innovative feature, and a different vision of life and existence.

Keywords: Albert camus; Existentialism; Absurdity; rebellion; Philosophy

المؤلف المرسل: فاطمة الزهراء جبالة، **الإيميل**: f.djebala@univ-soukahras.dz

1.مقدمة:

يعتبر **ألبير كامي** من الكتّاب الذين ذاع صيتهم في الساحة الأدبية والنقدية، فقد كان فيلسوفا ثائرًا، وأديبا متمردا، ففلسفته يطغى عليها العبث واللامبالاة ومواضيعه تدور حول التّمرّد، حيث أدرك أنّ هذا العالم لا معقول وأنّ هذه الحياة عبثية، ونادى برفض الانتحار والإعدام وكل ما يتسبب في عذاب الإنسان، وقد كانت حياة كامي ومؤلفاته لا تبتعد كثيرا عن حياة أبطاله، فهما وجهان لعملة واحدة، الأمر الذي دفعنا إلى الولوج إلى عالمه عن طريق أعماله، وذلك بالبحث في فلسفته وإلقاء الضوء على أهم مؤلفاته، وكذا حياته التي كانت جزءا من ذلك، مع التطرق إلى بعض المعاصرين الذين شُغِفوا به، وعليه ينطوي موضوعنا تحت إشكالية أساسية وهي: ما مفهوم **كامي** للعبث والتمرد؟

2.من هو ألبير كامي؟

1.2 نبذة عن حياته:

هو أديب وفيلسوف فرنسي الأصل، جزائري المولد والنشأة؛ فقد "ولد ألبير كامي في مدينة الذرعان بولاية الطرف يوم 7 نوفمبر عام 1913، وكان الابن الثاني لأسرة لوسيانكامي الذي كان يعمل فلاحا، وتدعى أمه كاترين سانتيس، خادمة شابة من أصل إسباني، كانت أمية وتتكلم بصعوبة، تم تجنيد لوسيانكامي أثناء الحرب العالمية الأولى ومات في حرب لامارن، ... كان ألبير كامي يقرأ كثيرا للكاتب الفرنسي أندري جيد، تعلم حياة البؤس في حي بلوزداد (بلكور سابقا)، وبفضل مساعدة أحد معلميه، السيد جيرمان تحصل على منحة ما مكنته من متابعة دراسته في ثانوية بيجو في الجزائر العاصمة"(**كامي، 2014، صفحة 10/9**)، وقد كانت الخطوة الأولى في حياة **كامي** ومسيرته العلمية، فهو بعد ذلك احتك بأساتذته وبدأ بدراسة الفلسفة والتعمق في قضاياها، بالإضافة إلى شغفه بكرة القدم التي أصبح فيها حارس مرمى لفريق الثانوية، وبما أن حياته مليئة بالأحداث والوقائع سنحاول تلخيصها أهمها حسب السنوات في النقاط الآتية:

سنة 1923: حصل على المنحة التي مكنته من متابعة دراسته.

سنة 1930: اجتاز كامي البكالوريا في ثانوية "بيغو"، وفي نفس السنة أصيب بأول نوبة له بالسل.

سنة 1932: بدأ ينشط في مجال حيث قام بنشر مقالاته في مجلات طلابية.

سنة 1934 تزوج سيمون هيي، "وعمل في سلسلة من الوظائف ذات الأجر المنخفض"(**مؤلفين، 2021، صفحة 9**) من أجل تلبية حاجيات حياته الجديدة.

سنة 1935: انخرط في الحزب الشيوعي الذي انسحب منه بعد عامين.

سنة 1936: أنهى دراسته وتحصل على الليسانس في الفلسفة.

سنة 1937: أعاقته نوبات السل في الحصول على الأستاذية، وفي الوقت نفسه يقطع صلته بالحزب الشيوعي.

سنة 1938: أصبح صحفيا في جريدة الجزائر الجمهورية.

سنة 1940: "تزوج مرة أخرى من فرانسيس فور، وهي مدرسة للرياضيات من وهران، وفي العام نفسه، غادر كامو الجزائر متوجها إلى باريس، على أمل أن يثبت وجوده كمراسل في الصحافة اليسارية"(**مؤلفين، 2021، صفحة 11**)محاولا الاستقرار هناك.

سنة 1942: أصبح مناضلا في حركات المقاومة ونشر مقالات في جريدة المعركة التي أصبحت جريدة تحريرية.

سنة 1944: بدأت صداقته مع الفيلسوف الفرنسي **جون بول سارتر**.

سنة 1957: حصل على جائزة نوبل للآداب، ويعتبر ثاني أصغر أديب حاز عليها بعد **روديارد كيلينغ**.

سنة 1960: كانت نهاية حياته، حيث توفي في حادث سيارة مروع.

2.2فلسفة ألبير كامي

ألبير كامي كاتب مسرحي وقاص، وممثل، ومخرج، ومقتبس صحفي، وهو رجل مسرح عن جدارة، بين سنتي 1938 و1940 توجه للكتابة الصحفية كوسيلة للتعبير، حيث رأى أنها الأقرب إلى الواقع؛ لأنها تعبر عن همومه ومشاكله، حيث أسس برفقة **باسكال بيا Pascal Pia** جريدة الجزائر الجمهورية التي بقيت تظهر على الرغم من المضايقات والمنع، بفضل شغفه المستمر ورغبته في التطلع دائما والإبداع، حيث نشر سلسلة مقالات سنة 1939 في هذه الصحيفة، وقد جُمعت بعديا في كتابه

Chroniques Algérienne، وبعدها توجه إلى التأليف فمزج بين الروايات والكتب الفلسفية والمسرحيات، والتي من خلالها تظهر فلسفته.

ارتبط اسم **ألبير كامي** بالفلسفة الوجودية التي تقوم على مبدئي العبث والتّمرّد، ذلك أن العصر الذي عاش فيه عصر مليء بالمتناقضات والصراعات، فالحرب العالمية من ناحية، والاستعمار الفرنسي من ناحية أخرى،فأراد أن يتجاوز ذلك برفضه كل ما يؤدي إلى عذاب الإنسان، "حيث أصبح يعتقد الكثير من الناس أن أهم مشكلة فلسفية هي: ما مغزى الوجود؟ هذا سؤال طرحه ألبير كامو في رواياته ومسرحياته ومقالاته. ربما كانت إجابته محبطة قليلا. لقد ظن أن الحياة لا معنى لها، وبأنه لا يوجد شيء عبثي للغاية حول السعي الإنساني لإيجاد المعنى. بشكل مناسب، إذا، نظرته الفلسفية كانت تسمى (الوجودية) العبثية" (**مؤلفين، 2021، صفحة 65**)وعليه سوف نعرج على مفهوم كل من العبث والتمرد لغة واصطلاحا، وعلاقتهما بفلسفته الوجودية.

1.2.2العبث:

العبثية: نجدها تعني في اللغة في مادة (عَبَثَ) "عبث كل ما قام به كان عبثًا.

وعبثَ أي لعب فهو عابث بما لا يعنيه وليس من باله، والعبث أن تعبث بالشيء" (**ابن منظور، صفحة 2775**)، وتعني هنا ذلك الشيء الذي لا فائدة له أو هدف. وفي المعاجم الحديثة اتخذ معاني متعددة لكنها تكاد تكون متشابهة ومتقاربة في معظمها، ونحن سنحاول تحديد مفهومه في معجم معالي اللغة لتدارك معنى هذا المصطلح حديثا، جاء ما يلي: "(العبث) اللعب. وقد (عبِثَ) يعبثُ عبَثًا، والعبثة المرّة الواحدة. و(العَبْثُ) اتّخاذ العبيثةِ، و(العبِيثةُ): الأَقِطُ يُفرغُ رُطبُهُ حين يُطبخُ على جافّهِ فيُخلطُ به. يُقال (عَبثتِ) المرأة إذا فرّغتهُ على المِشرّ ليحمل يابِسُه رطبه، و(العبيثة)، طعام يطبخ..."(**معالي، 2013، صفحة 443**)، حيث نجد أن مفهوم العبث الذي يتجذر من الفعل عَبَثَ اتخذ مفهوم اللعب؛ أي اللهو وما شابه ذلك، أما عن الاشتقاقات الأخرى اتّخذت مفاهيم ومعاني لا قرابة لها بما نبحث عنه حول مفهوم العبث، خاصة في حقل الفلسفة الوجودية.

أمّا عن المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة، فنجدها تأخذ منحى فلسفي،حيث تعتبر"العبثية مدرسة أدبية فكرية تدعي أن الإنسان ضائع لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة ولم يعد لأفكاره مضمون وإنما هو يجتر أفكاره لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي" (**حسيبة، 2009، صفحة 308**)، فقد صار للعبثية مدرسة أدبية فكرية خاصة بها، ومذهب مستقل، فعندما لم يستطع الإنسان إثبات وجوده نتيجة الظروف الصعبة من حروب وصراعات، هذا الأمر جعله غير قادر على تغيير مصيره، فرضخ إلى الواقع المرير، وبالتالي اضطر إلى فعل أشياء وأعمال لا فائدة منها، يرجعها أصحاب الاختصاص إلى الفراغ الروحي، مما يجعله إنسان يائس لا يسعى وراء أي هدف في حياته، ، وهذا المعنى الاصطلاحي لا يبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي للكلمة، إذ تتمحور كلها حول اللامبالاة واللامعقولية التي تحد من التصرفات الواعية والمشروعة، فالعبثية عند سارتر مثلا تجعل الإنسان دائما في تساؤل مع نفسه حول سبب وجوده، وإلى ما سيؤول إليه، وما مصيره، مما يجعله دائما في حيرة واضطراب، منعزلا يعاني الاغتراب الداخلي، وبذلك يصبح لا فائدة منه، وقد عبّر عن فكرة العبث من خلال قراءته لعملي **كامي**: الغريب وأسطورة سيزيف قائلا: "العبث... ليس كامنا في الإنسان ولا في العالم **bieng in the world**، فإن العبث في النهاية جزء لا انفصام له عن الظرف البشري **the human condition**. ومن ثمة لنقل بادئ ذي بدء إن العبث ليس موضوع فكرة مجردة، وإنما يتكشف لنا في استنارة باعثة على الحزن. الاستيقاظ والانتقال بالسيارة وأربع ساعات عمل، وغداء ونوم والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت على النمط نفسه... ثم بغتة ينهار المشهد، ونجد أنفسنا في حالة من وضوح الفكر العضال" (**أرونسون، 2006، صفحة 24**)، فيدخل الإنسان بذلك إلى عالم الروتينية الذي يصيبه بالملل، ثم تعود سلسلة التساؤلات المتكررة حول وظيفته الحقة والمغزى منها، وهنا يمكننا الحديث عن العبثية عند كامي الذي كانت تجمعه علاقة صداقة مع **سارتر**، حيث يوجد تشابه كبير في أفكارهما، لكن ذلك لم يدم طويلا، فقد بدأت الخلافات بينهما بإصدار كامي كتابه "**الإنسان المتمرّد**" الذي أغضب سارتر منه، خاصة فيما تعلق بمفهوم الحرية، حيث تعتبر "الفكرة الرئيسية في حجة كامي واضحة: إنها الوجودية: كفلسفة حرية... وحوّل كامي صراحة كل حجته ودراسته في الإنسان المتمرد ضد سارتر والأزمنة الحديثة"، الأمر الذي زاد

من حجم الخلافات بينها،وتجسد ذلك أيضا في فكرة الانتحار التي كانت نقطة انفصالهما، فقد كان "جواب كامو على سؤال الانتحار هو لا. يصرّ على أنّه يجب علينا أن نستمرّ في مواجهة العبث، وألا نعطي أنفسنا أملا كاذبا؛ هو في النهاية يوحي بأننا نعيش الحياة بشكل أفضل إذا لم يكن لها معنى." (**مؤلفين، 2021، صفحة 94**)وهنا يهمنا أن نعرض مفهوم العبث عند **كامي**، وكيف وظّفه في أعماله.

أُطلق على **كامي** لقب فيلسوف العبث إلا أنه يرفض ذلك ولا يعجبه هذا اللقب، لكن إذا تطرقنا إلى ما يشكل مقولة العبث عنده فإننا سنقف عند عدة أحداث عاشها وتتمثل في: وفاة والده وهو في سن صغير جدا، واشتغال والدته لتتكفل بأربعة أفواه جائعة؛ أختها الخرساء وجدّة كامي وشقيقه و**ألبير** نفسه، وبعد تخرّجه يرتحل من وظيفة إلى أخرى، أما عن حياته الزوجية فقد عانى فيها أيضا، ناهيك عن مرض السّل الذي أحدث خللا في نظام حياته، حيث توقف عن لعب كرة القدم التي كثيرا ما شُغف بها، لتختطفته المنية في حادث سير رحل فيه بشكل عبثي. إن الظروف الصعبة التي عاشها جعلت منه إنسانا غير مبال، حيث نجده في كثير من الأحيان صامت، وهذا الصمت يوازيه الألم في أعماله؛ ففي رواية "**الغريب**" يقدّم لنا البطل "**ميرسو**" العبثي، غير المهتم الذي تنتهي حياته بالحكم عليه بالإعدام، الأمر الذي يوحي إلى قمّة العبثية، فقد ارتكب جريمة قتل بدون سبب، حيث "تحكي رواية الغريب **the stranger**قصة الفرنسي الجزائري ميرسول، **Meursault**، الذي يقتل عربيا على الشاطئ في يوم من الأيام من دون سبب وجيه. السبب غير الوجيه هو المفتاح: إذا كان من الممكن التصرف من دون سبب وجيه، فربما لا يوجد أبدا أي سبب للحديث عن الخير عند التصرف. يفكر ميرسول (ويؤيده كامي)، العالم العبثي"(**مؤلفين، 2021، صفحة 37**)، فيبرر لفعله بأن سكين العربي قد لمع تحت أشعة الشمس مما أثار غضبه، يقول في ذلك: "أخرج العربي سكينه الذي صار فولاذه ينضح تحت الشمس وكأنه نصل طويل ملتهب قد امتدّ ليصيب جبهتي، ثم أطلقت النار أربع مرات على جسد هامد" (**كامي، الغريب، 2014، صفحة 64/63**)، فهنا يتضح المعنى الحقيقي للعبث في أنك تقتل إنسان بدون سبب لأنه كان باعتقاده أنه يدخل السّجن ويخرج منه بعد عدة أيام فقط، لكن توقعه كان خاطئ، وعلى الرغم من هذا السلوك اللاعقلاني إلا أنه لم يشعر بالندم أو تأنيب الضمير، وهنا مكمن العبثية، في كونه قام بفعل مشين، لا يمت للخير بصلة ولا يتأثر

بذلك أبدا، بل وحتى بمصيره الذي سيلقاه جرّاء ذلك الفعل، وهذا حال البشرية في نظر **كامو** والتي اختصرها في هذه الشخصية وأفعالها، حيث نجد قبل هذا الحدث مظهرا آخر للعبثية عند وفاة أمه، فهو لم يحزن أو يهتم، بل بقي إلى جانب جثتها، وشغله شكل الصالة والإدارة بدل التفكير في أمه التي فارقته بعد أن وضعها في دار المسنين، حيث جاء في مستهل الرواية على لسانه: "اليوم ماتت أمي، أو ربّما ماتت بالأمس... لست أدري"(**كامي، 2014، صفحة 9**)، ثم عند ذهابه لمراسيم الدفن، أخرج سيجارة ودخل القاعة وهو مرتاح لأن: أمه لن تنبهه عن التدخين،"**ميرسو**" حر ولا يبالي بالحياة مهما كانت الظروف أو العواقب، فخبر وفاة أمه لم يحرك له ساكن، والرواية تعج بمقاطع اللامبالاة التي عاشها وجسدها "**ميرسو**"، حيث عبّر عن ذلك ذات مرة بقوله: "في ذلك الليل الذي يفيض بالرّموز وبالنجوم أحسست للمرّة الأولى بعذوبة اللامبالاة، وأحسست أنّني كنت سعيدا في يوم من الأيام ولازلت حتى الآن" (**كامي، الغريب، 2014، صفحة 117**) فهذا اعتراف على لسان الشخصية باستهتاره وعدم اكتراثه لمجريات الحياة التي تحيل الناس العاديين على الحزن، "فمرسو حينما يسلم نفسه للمعطيات الخالصة، وللتجربة الحية المباشرة يرفض في الحقيقة كل أنظمة التفسير والتعليل، ويلقي بنفسه، إن جاز التعبير، في صحراء خالية من كل دلالة أو معنى"(**مكاوي، 1964، صفحة 94**)، وهو ما تجسده الفلسفة الكاموية باتخاذها العبث ركيزة أساسية في بناء الشخوص الحكائية، ذلك أنه لا مجال في حياة ميرسو للتبرير، بل وللتساؤل أصلا حول أصل الأشياء ومسبباتها، فما حدث قد حدث، وما هو آت لن يكون أكثر ضررا مما هو موجود أصلا.

نجد أيضا العبثية في كتابه "**أسطورةسيزيف**" الذي حاول فيه طرح إشكالية الوجود الإنساني، وكيف يجب على المرء أن يتعامل مع هذا العالم المشوه والمزيف –في رأيه–، حيث اتجه فيه إلى نقد ورفض كل من يرى أن الوجود معقول. "ماذا ستكون الحياة إذا كانت عبثية، وأن يكون لها معنى؟ هذا هو بالضبط السؤال الذي يطرحه كامو في عمله الشهير، أسطورة سيزيف. كان مسكونا بهذا السؤال حول ما إذا كان الانتحار هو الرد العقلاني الوحيد على عبثية الحياة."(**مؤلفين، 2021، صفحة 65**)و"**سيزيف**" هو شخصية أسطورية اعتمدها من أجل وصف الكينونة والوجود، حيث يقول عنه: "سيزيف كان أعقل الناس، وقضت عليه الآلهة بأن يستمر أبدا في إصعاد صخرة إلى قمة الجبل لا تلبث بمجرّد وصولها على

القمة أن تسقط تلقاء نفسها فيضطر سيزيف على إصعادها من جديد (....) ويقال أنه عوقب بهذا العقاب لأنه استخف بالآلهة وأفشى أسرارها"(**كامي، أسطورة سيزيف، 1983، صفحة 11**)، **فسيزيف**شقي، وهذا الشقاء كلفه العذاب الذي يستمر بلا انقطاع، عن طريق إلزامه بعمل غير مجدي، الأمر الذي جعل من كامي يتخذه معادلا موضوعيا للحياة برمتها، حيث يطرح تساؤلات ثم يحاول الإجابة عنها، وقد حاول جاهدا تفسير فكرة الانتحار، واعتبرها فكرة اعتباطية لا يمكنها أن تساوي السعادة المتوقعة التي يبحث عنها الجميع، وبالتالي قد تجاوزها واعتبرها ليست حلا للتداوي من عبث الحياة كما يقول البعض. "ففي سيزيف، يقدم لنا كامو طريقة لمنع عبثية ميرسول من أن تصبح مجرد قتل: نحن جميعا سيزيف، كما يقول، ومحكوم علينا أن ندحرج صخرتنا صعودا ثم نشاهدها تسقط نحو الأسفل إلى الأبد، أو على الأقل إلى أن نموت. تعلم أن تدحرج الصخرة وحافظ على نصف ابتسامة على وجهك" (**مؤلفين، 2021، صفحة 38**)، وبذلك تتحقق سعادتك في الحياة، فهو يريد أن يبرهن أن الشقاء موجود لا محالة، ولكلٍّ مِنَّا **ميرسو** و**سيزيف** خاصته، والوعي بهما من شروط السلام النفسي، أما عن كيفية الوعي بذلك وتجسيد روح المقاومة واللامبالاة، فقد طرح فكرة التمرد كحل وبديل للحزن والحسرة والتأثر بسلبيات الوجود،فماذا يقصده به يا ترى؟

2.2.2 التمرد:

جاء في مفهومه اللغوي "تمرّد الغلام، مرد وتمرّد على الشيء، مرن عليه واعتاده، وتمرّد على القوم، عصى عنيدا مصرا، ويقال تمرّد على الشر طغى" (**أنيس، منتصر، الصوالحي، و مُحَمَّد، 2004**)، ويعني الخروج عن السلطة وعصيانها وعدم القبول والرضوخ بسهولة والرفض الدائم للواقع.

أما اصطلاحا فقد جاء بمعنى أنه سلوك اجتماعي يترتب عن إحساس الأفراد بالظلم والتهميش مما يجعلهم يلجئون إلى فعل أي شيء، سواء كان خيرا أم شرا، ردا لاعتبارهم وتحقيق الكرامة والعدالة. فكما تحدّثنا سابقا أن **ألبير كامي** يلازمه العبث في أعماله، والعبث كرؤية فلسفية يؤدي إلى الاغتراب والرغبة في الانتحار؛ إلا أن هذا الشيء مرفوض عنده، فقد اختار مواجهة العبث بالتّمرّد للخروج من العدمية، إذا "ماهو البديل الكاموي للانتحار أو الأمل؟ الجواب هو العيش بلا هرب ونزاهة، في التمرد والتحدي،

والحفاظ على التوتر الجوهري في الحياة. وبما أن العبث الأكثر وضوحا هو الموت، يحثنا كامو على الموت دون تسوية، وليس بمحض إرادةالمرء باختصار، ينصح كامو بحياة خالية من المواساة والعزاء، بحياة تتميز بالشفافية والوعي الحاد بالحياة، والتمرد ضد حدودها ومعدلات وفياتها" (**الشريف، 2021، صفحة 28/27**). كما فعل **ميرسو** خاصته في تقبل وفاة أمه بكل برود، ومن دون انفعال، لأن طبيعة الحياة،في نظر **كامي**، تقتضي ذلك، والأمر ذاته في مؤلفاته الأخرى، حيث يقول في **أسطورة سيزيف** معبرا عن ذلك: "وهكذا فإنني استنتج من اللّاجدوى ثلاث نتائج وهي ثورتي وحريّتي وانفعالي، بواسطة فعالية الإدراك فقط أحوّل إلى قاعدة للحياة، ما كان سيصبح دعوة للموت وأنا أرفض الانتحار" (**كامي، أسطورة سيزيف، 1983، صفحة 74**)، بمعنى أن الخضوع والاستسلام يجعلك غير موجود ولا فائدة منك، لذلك الحل هو التّمرّد للهروب أو الخروج من العبثية، حتى أنه قام بتأليف كتاب تحت عنوان **"الإنسان المتمرد"**؛نختصر فحواه في قوله: "فالإنسان كيفما يوجد عليه أن يتمرّد ولكن على تمرّده أن يحترم الحد الذي يكتشفه في ذاته، هذا الحد الذي عنده"،(**كامي، الإنسان المتمرد، 1983، صفحة 29**)بمعنى أنّ الشخص المتمرد يبقى في صراع بين القبول والرفض، بين الخير والشر، بين العدل والظلم، وبين الحياة والموت، وعلى المتمرد أن لا يتجاوز حدوده، فالتمرد الذي يقصده **كامي** هو التمرد المعتدل المحدود وهو الذي تدور حوله فلسفته، فقدأكّد كذلك على الروح الجماعية في أعماله، والتي "تنشأ عن الوعي بالشقاء المشترك، سواء أصاب مجموعة من الناس أو داهم جميع الناس، ويظهر إلى الوجود بقدر مواجهتهم لخطر مشترك يتهددهم (سواء أكان وباء أو طاعون أو كارثة الحرب أو استبداد نظم الحكم والأساطير الأيديولوجية)" (**مكاوي، 1964، صفحة 162**)،ونجد هذا الأمر في رواية الطاعون؛ التي جسدت مأساة هددت البشرية في وقت ما، حيث تجري أحداثها في مدينة **"وهران"** وضواحيها في فترة الأربعينيات من القرن الماضي. تصوّر الرواية المدينة عندما داهمها مرض الطّاعون القاتل فتتغيّر ملامح الحياة، وتنتشر حالات الذعر واليأس بين أهلها وسكانها بعد ما جاءهم هذا الصيف الذي لا يرغبون فيه، وبذلك تخيم على الرواية النظرة السوداوية المليئة بالحزن.فكان تبذلك "معبرة عن مأساة العصر، واضعة أحداثه في إطار الأسطورة أو الرمز المتحرر من الزمن والمكان، الذي يتطلبه كل عمل فني صادق. وكانت الرواية بفصولها

الخمسة الكبرى تراجيديا أكثر منها رواية بالمعنى المألوف، ولعل ذلك هو سر عظمتها ونجاحها في آن واحد" (**مكاوي، 1964، صفحة 17**)،وتلك المعاناة جمعت أفراد المجتمع وألفت بينهم، فقد كرسّ الطبيب ريو –أحد أبطال الرواية– كلّ وقته وجهده لهؤلاء المرضى، أو المعذبون إن صح القول، ليجسد مبدأ التضامن، ويتجاوز صراع الوباء والشقاء الذي آل إليه مجتمعه، وبذلك فهو يتمرد عن عبث الحياة التي أهلكتهم، والتي نشرت الذعر والهلع والحرمان بين الأفراد، فالمأساة مأساة واحدة، جاء في هذا الصدد قوله: "اعتبارا من تلك اللحظة، يمكن القول إن الطاعون بات قضيتنا جميعا" (**كامي، الطاعون، 2017، صفحة 43**)، وعليه فالتضامن هو شرط لاستمرار الحياة، خاصة في ظل هكذا ظروف، وذلك من أجل مجابهة الخطر الذي يعتري مجتمع الكاتب، بل والبشرية برّمتها.

كذلك الأمر في مسرحية "**العادلون**"، حيث تتجسد هذه الرؤية في تضحية البطل وأصدقائه من أجل تأكيد قيمة التضامن، وإذا تحقق هذا التضامن يكون التمرد ناجحا، ففي هذا السيّاق يقول: "أما أنا فأحب الذين يعيشون على الأرض نفسها التي أعيش عليها الآن، وهم الذين سأحييهم، إنني من أجلهم أناضل وفي سبيلهم، ارتضيت بأن أموت"(**كامي، العادلون، 1955، صفحة 46**). فالإحساس بالعبث يكون فرديا لذلك لابد أن يكون المتمرد جماعيا حتى يستطيع تحقيق النتيجة المرجوة نحو التغيير، والمتمرّد يغامر بكل شيء، حيث يقول في هذا الصدد"**كاليا بيث**" لحبيبته: "إننا نقتل لكي نبني عالما يخلو من القتلة إننا نأخذ على عاتقنا أن نكون مجرمين لكي يصبح سكان الأرض في النهاية أبرياء" (**كامي، العادلون، 1955، صفحة 36**)، فالدفاع عن الحرية ومحاربة الظلم مسموح بل كل فعل، حتى فعل القتل. "ففي كلاّ من (الإنسان المتمرد) ومسرحية (كاليجولا) و(القتلة العادلون) يستحضر كامو فلسفته مباشرة على مسألة الظروف الاستثنائية، والتي يمكن على ضوئها اعتبار جريمة القتل السياسية مبررة"(**الشريف، 2021، صفحة 58**)، ومن هنا يُفهم أن **كامي** قد قارن بين مفهومي التمرد والقتل، أي أن الإنسان إذا اضطرّه الأمر وقام بفعل القتل؛ فلا يكون قد خالف قيم الحرية والعدالة، هذه القيم العالمية التي من شأنها بناء عالم سوي، لأنه حاول في أعماله إرساء هذين المفهومين عن طريق طرحه لمواضيع لاعقلانية، ليثبت في النهاية قيمة وشأن الجنس البشري.

وإذا ما عدنا أيضا إلى كتابه"**الرجل الأول**"؛ نجده هو الآخر يعرض فلسفته الوجودية القائمة على طروحات تتمثل في: مامعنى الوجود؟ وأسبابه؟ وإلى أين المصير؟، وقد نُشر بعد وفاته، أي في سنة 1986، حيث قامت زوجته وابنته بجمع المخطوطة التي كان يحضرها من أجل نشرها بالعنوان ذاته، وقامتا بتعديلها ونشرها، حيث طرح فيه مفهومه للتمرد، وكيف على المرء أن يجابه الحياة بتمرده على كل ما حوله، ورفض كل ما يؤدي إلى عذاب الإنسان، فتتلخص فكرة الكتاب كلّه حول مقولته الشهيرة: "أنا أتمرّد إذا أنا موجود"، وقد "يختلف الإنسان الأول عن باقي أعمال كامي، ففي رواياته وأعماله المسرحية كان يعبر عن أفكاره الفلسفية، أما في الإنسان الأول فقد قدّم لنا حياة أسرة بائسة تصارع الحياة بواقعية وشجاعة وبدون مرارة، مركزا على حياة الطفل جاك الذي هو كامي نفسه، وإمكانات السعادة في حياة هذا الطفل وما منحته له الطبيعة من بهجة، ولدت فقيرا تحت سماء سعيدة، وسط طبيعة يشعر المرء معها بالود والصلة لا بالجفاء والعداوة، فأنا إذن لم أبدأ بالتمزق، بل بالامتاع"(**كامي، الإنسان الأول، صفحة 15**)،فهو بذلك يرسخ مفهوم التمرد السوي، الذي يقوم على فكرة التقبل والاستمتاع بعيدا عن ثرثرات العقل، ومَنْطَقَة الأحداث، فجاك قد تخلّى عن صراعه من أجل البقاء، وسلّم نفسه للطبيعة المليئة بالمحبة والهدوء، وتجاوز كل ما يؤدي إلى تأزيم الأمور، وهو ما يراه **كامي** تعبيرا عن الكينونة والوجود.

يمكننا الوصول إلى حوصلة مفادها أن تأسيس القيم الأخلاقية عند **كامي** يمكن فهمه في سياقه التاريخي، فهو يتجاوز التأسيس الحديث القائم على قيمتي الحداثة والتنوير إلى قيمتي العبث والتمرد، وهذا بسبب ظروف العصر التي عاشها كقمّة التهديد للوجود الإنساني، فهو بذلك قد "بنى صرحه الأساسي للأفكار حول المصطلحات الأساسية للتمرد والعبث، آملا أن يحلّ مسائل الموت والحياة المحفزة له، بينما يرفض، في الوقت نفسه، فكرة النظام الفلسفي بحد ذاتها" (**الشريف، 2021، صفحة 14**) وعليه يمكننا القول أن أفكاره الفلسفية تحمل مفارقة، تنبثق عنها بشكل واضح العبثية التي يعتبرها طبيعة الحياة والوجود.

3.ألبير كامي في سياق الجدل الأدبي والنقدي المعاصر

لقد كان للفلسفة الوجودية صدى كبير عند الأدباء والنقاد المعاصرين، وهذا لما وجدوه فيها من مقولات وآراء تلامس الواقع الراهن الذي تشوبه تساؤلات ونزعات لم تحظ بإجابات تشفي غليلهم، وبطبيعة الحال

حدثت انقسامات وتفرعات في الفلسفة الوجودية منذ ظهورها، ونحن بتركيزنا على الوجودية الكاموية سنحاول عرض الآراء النقدية التي قيلت فيها، ثم مدى تأثر الأدباء بها، وحضورها في أعمالهم –خاصة الروائية–

1.3 من الناحية النقدية

أُلفت العديد من الكتب حول **كامي** وفلسفته، وتناولوا فيها أعماله الكاملة بشكل مفصل يسهل على الباحث في سيرته أو في أعماله أو في فلسفته الولوج إلى عالمه، ونحن سنحاول التنبيه على هؤلاء الذين تداركوا وزنه كفيلسوف عبثي متمرد، حيث أنه عمل على استفزازهم والتأكيد على أن هويته هي اختلافهم عليه،وفي هذه الورقة البحثية لا يسعنا الحديث عن جل النقاد الذين أبدو رأيهم فيه، سنذكر بعضا منهم على سبيل التمثيل لا الحصر من أجل العودة إليهم وقت الحاجة، وهم:**عبد الغفار مكاوي، عبد الرحمان بدوي، واسيني الأعرج، ، مُحَمَّد يحياتن، عبد الغني بومعزة، حميد قرين، مالك شبل، عبد القادر جغول، مايسة باي، عبد الله بلحيمر، جوزيف كونراد، طه حسين، إدوارد سعيد، جون كروشانك، جرمين بري، روجيه بول دروا**،... وغيرهم كثير ممّن أثرت فيه فلسفة كامي وأعماله، أما عن الذين كتبوا عنه، وتناصوا مع أعماله وسيرته في كتابتهم كثير، وسنحاول ذكر بعضهم في العنصر الموالي.

2.3 من الناحية الأدبية

أولى بعض الروائيين المعاصرين اهتماما واضحا **بألبير كامي**، فاستحضروه في رواياتهم بأشكال مختلفة، فمنهم من تناص مع سيرته، ومنهم تناص مع أعماله، ومنهم من تبنّى فلسفته القائمة على العبث والتمرد، ولعل هذا التأثر الكبير له دلالات وأبعاد فكرية وجمالية تتمثل عموما في شغفهم الكبير به، ونجد هذه الظاهرة بشكل خاص عند الروائيين الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية، من بينهم:

Kamel Daoud:mersault contre enquêt ،Salim Bachi:Le dernier été d'un jeune homme ،Hamid Grine: Camus dans le naguillé ،Saad khiari: Le soleil n'est pas obligé ،Salah Guemriche:aujourd'huit meursault et mort

أما عن المكتوبة بالعربية فنجد رواية الأميرة والغول **لعبد الغني بومعزة**، والتي استحضر فيها شخصية **ميرسو** بطل الغريب **لألبير كامي**. وهذا الاستحضار والتناص إن دلّ على شيء إنما يدل على عظمة هذا الكاتب، وخلوده –إن صح القول– في الذهنية الأدبية والنقدية إلى يومنا هذا، وأفضل ختام لهذه الدراسة

هو ماكتبه**جان جرونييه** عن كامي عند تقديمه لأعماله الكاملة "إن آلاف الصفحات التي كتبت ولا تزال تكتب وستكتب عن ألبير كامي تدل على عمق الأثر الذي أحدثه، وإنها شهادة جيل تجعلنا نستشعر اتفاق الأجيال القادمة"(**كامي، الإنسان الأول، صفحة 16**)، وهو حال كتابنا وأدبائنا المعاصرين اليوم.

4. خاتمة:

يمكننا القول في ختام هذا البحث أنّ **ألبير كامي** قد عاش العديد من الظروف الصعبة في حياته إضافة إلى مشاكل العصر من عذاب وظلم واستبداد، مما أدى إلى تبلور فكره مبكرًا، حيث ساهم في إنتاج أعمال إبداعية لها قيمة عظيمة، ولم يكتف فقط بالروايات بل برز أيضا في مجال المسرح والمقال، وقد لُقب بفيلسوف العبثية لينتقل بعدها إلى ما يعرف بالتمرد، لكن هذا التمرد يجب أن يكون معتدلا، وله حدود وليس عشوائيا، وقد تأثّر بعض الكتّاب بأعماله مما يدل على أسلوبه المتميّز، بالإضافة إلى حصوله على جائزة نوبل للآداب سنة 1957، ومن أهم النتائج التي يمكن الحديث عنها، والتي توصلنا لها من خلال الغور في فلسفته: دفاعه الدائم عن الإنسان، ورفض أي ضرر يلحق به ويؤدي بحياته للهلاك، وبذلك فهو يريد تحقيق التضامن والعدل البشري.

ولعل دراستنا **لألبير كامي** وفلسفته، تفتح أفق البحث والتعمق في أعماله، وإعادة قراءتها لاستجلاء ملامح العبث والتمرد أكثر، بالإضافة إلى معرفة مدى تأثر الكتّاب المعاصرين به وبفلسفته، ثم محاولة كشف مظاهر وأشكال هذا التأثر، وأبعاد ذلك.

5. قائمة المراجع:

إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، و خلف الله أحمد مُحَمَّد. (2004). *معجم الوسيط* (الإصدار4). القاهرة، مصر: مجمع اللغة العربية.

أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. *لسان العرب*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد الشريف. (2021). *أدب الطاعون عند ألبير كامي* (الإصدار 1). تونس: دار السّلام.

ألبير كامي. (1983). *أسطورة سيزيف*. (زكي حسن، المترجمون) بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.

ألبير كامي. (1983). *الإنسان المتمرد* (الإصدار 3). (نهاد رضا، المترجمون) بيروت، لبنان: منشورات عويدات.

ألبير كامي. (2017). *الطاعون* (الإصدار 1). (سامي قباوة، المترجمون) بيروت، لبنان: دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع.

ألبير كامي. (1955). *العادلون* (الإصدار 1). (إيميل شويرية، المترجمون) بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

ألبير كامي. (2014). *الغريب*. (مُحَمَّد بوعلاق، المترجمون) بجاية، الجزائر: دار تلانيقيت للنشر.

جرمين بري. (1981). *ألبير كامي*. (إبراهيم جبرا، المترجمون) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

جون كروكشانك. (1986). *ألبير كامي وأدب التمرد*. (جلال العشرى، المترجمون) مصر: الهيئة المصرية العامة للكتّاب.

رونالد أرونسون. (2006). *كامي وسارتر*. (شوقي جلال، المترجمون) عالم المعرفة.

عبد الغفار مكاوي. (1964). *ألبير كامي محاولة لدراسة فكره الفلسفي*. القاهرة، مصر: دار المعارف.

مجموعة مؤلفين. (2021). *ألبير كامو العبثية- الوجودية- الانتحار*. (عقبة زيدان، المترجمون) سوريا: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

محسن مُحَمَّد معالي. (2013). *معجم معالي اللغة* (الإصدار 1). الاسكندرية، مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع.

مصطفى حسيبة. (2009). *لمعجم الفلسفي* (الإصدار 1). عمان: دار أسامة.